اصل اليزيدية وتاريخهم

Les Yézidis dans l' histoire.

٣ — نقول مختلفة عن نحلة اليزيدية :

كان صاحب كتاب النسطوريين (١) بين عن اليزيدية ووصف حالتهم فأبدع الوصف . وذلك في المجلد الاول . وكانت عن مشاهدات قبل عام ١٨٥٠ م وفي ذلك العام نفسه .

ولا نتطلب من هذا السائح وامثاله منهم اكثر من وصف الحالة . لذا يؤاخذ على بيان علاقة الماضي بالحاضر . فانه أبعد المرمى ، وجعل روابط اليزيديين بالاسلام ، مداراً للاعتذار ، وخوفاً من شرور المسلمين . وهكذا فسر وجود الآيات القرآنية على اضرحة مشاهيرهم . بانها ذر رماد في عيون المسلمين لدفع الغوائل عنهم . وذهب الى انهم من عباد يزدان ، استناداً الى قولهم نحن نعبد الله . والذي دفعه الى هذا القول ، ما تحققه منهم بصورة بائنة انهم نسوا الاسس التي تستند اليها ديانتهم .

وقبل نحو ثلاث سنوات ، نشرت جريدة « العراق » في عددها المؤرخ في ٢٥ كانون الاول سنة ١٩٢٨ في عددها الـ ٢٦٤٥ كلاماً للسر ريتشارد تمبل على اليزيدية ، وبين انهم مسلمون في الظاهر ، ولكنهم من الغلاة في الباطن ، وهم يؤمنون بالله وبآلهة صغيرة ... الى ان يقول : وهؤلاء الآلهة ليسوا واضحي الالوهية . وهم اشبه شيء بالقديسين عند النصارى ، والاولياء عند المسلمين ، لانهم يعبدون الله ، ولكنهم يراعون هذه الآلهة الصغرى . والتفاوت بين القولين كبير كما لا يخفى .

وهنا قول آخر ، وهو لصاحب « دبستان مذاهب » (٢) بعنوان في

(1) Nestorians & their Rituals. Vol. 1. I11, et seq.

٢) ان هذا الكتاب فارسي. طبع عام ١٢٦٢ هـ . وقالت عنه المعلمة الاسلامية ما هذا بعضه : « يصف الكتاب المذاهب ، لاسيما الحالة الدينية في الهند ، في القرن الحادي عشر الهجري . اما مصادره فكتب الائمة في مختلف المذاهب . وربما اعتمد ايضاً على الافادات الشفوية التي ذكرت له أو عول على المشاهدات الشخصية . وفي عدة فصول راجع الاداب

الامويين واليزيديين وهذا نصه معرباً :

« هؤلاء يكونون في جبال المشرق في موقع يقال له (شكونة) (١) ويحكمهم

العربية السابقة لعهده المتعلقة بهذه الموضوعات . واول ما تكلم عليه دين الفرس ، ثم تكلم على سائر الاديان بالتوالي . وقد نسب هذا الكتاب وهماً الى «محسن فاني». وعلى كل حال ان صاحب الكتاب من تابعي دبن زرادشت . ومن المحتمل ان يعتبر صواباً ماجاء في المخطوطات التي تنسب هذا الكتاب الى «موبذشاه» ، او «ملا موبد». وهذا ايضاً رأي «سراج الدين محمد آرزو» ، في مقال كتبه في مذكرته . ويؤخذ من الكتاب نفسه ، ان المؤلف ولد في الهند قبيل سنة ١٠٢٨ هـ . وجاء في شبابه الى (اكرة) وقضى عدة سنين في كشمير ، ولاهور ، وزار مشهد الرضا ، ووقف على ما في غربي الهند وجنوبيه . ولهذا يعتبر الكتاب انه كتب سنة ١٠٦٤ و ١٠٦٧ هـ » .

وسبب نسبته الى الزرادشتية هو انه لم يبد تحيزاً لفئة ، الى حد اننا لا نتمكن من معرفة نحلته من البحث الذي يطرقه . وصاحبه معتدل وكتب مابلغ اليه علمه . ومن غريب امره انه يستنطق اهل كل نحلة وينقل ما يقولونه كانه مجرد عنها . وكلامه عن الزرادشتية يمثل رأي اربابها فيها . فهو كالرسام يصور ما يشاهد ، او كالسياح يثبت ما يرى ، كانه جاء من عالم آخر او من امة بعيدة فاخذ عن اهل كل نحلة ما سمعه من اكابر اهلها بتحقيق يغبط عليه . فهو مثل الشهرستاني واختلاف الاراء في نحلته بل زاد عليه في اخفاء اسمه .

١) لم اعثر على هذا المكان والجبل في المعاجم التي في ايدينا ومن المحتمل انه (شيخان) فحرف لعدم ضبط مؤلفه، او لتحريف النساخ له، او من الطبع . والذي تميل اليه النفس انه تصحيف شيخان، لانه موطنهم الاصلي ولعل بين القراء من يقف على حقيقة اللفظ. (الكاتب)

الا اننا نظن ان شكونه (بشين معجمة مضمومة وكاف فارسية مضمومة فواو فنون فهاء في الاخر) اسم فارسي معناه « مقلوب » وهو اسم جبل مشهور فوق بارما (اليوم باريما) وخرستاباذ (اليوم خرساباد وبعضهم يقول خرصاباد او خورصاباد) او على بعد نحو ثلاث ساعات من شرقي تلكيف في انحاء الموصل. وفي جبل «مقلوب» عدة قرى، سكانها مسلمون ونصارى ويزيدية . ونظن ان صاحب كتاب « دبستان » نقل الى لغته الفارسية اسم الجبل، وهكذا كان اسمه في عهد تملك الفرس في تلك الديار ، والكرد الذين يحسنون الفارسية في عهدنا هذا يسمونه « شكونه » الى عهدنا هذا . هذا ما اكده لنا احد الادباء ، وهو صديقنا المرحوم شكري الفضلي ، والارميون في عهدنا هذا يترجمونه ايضاً الى لسانهم فيسمونه : « طورا دمقلب » اي الجبل المقلوب وفي اعلاه دير للبعاقبة اسمه « دير مارمتى» وكان العرب يسمونه في عهد العباسيين « دير متى » ولهذا سمى النصارى هذا الجبل باسم ثان هو « جبل متى ». وقال صاحب « مفصل جغرافية العراق» (ص١٨٨) : « جبل مقلوب» يقع في شمال شرق الموصل ، وفي غرب نهر الخازر . وارتفاعه زهاء ٣٤٠٠ قدم . وفي غربه جبل بعشيقه (كذا) وارتفاعه زهاء ٢١٥٠ قدماً . اه . » (ل. ع)

ملك يسمى يعقوب ، يدعي انه من اصل اموي ، وينتسب الى خال المؤمنين(١) معاوية بن ابي سفيان ، وهم مشهورون بالشجاعة ومحرابون ، ويواظبون على الصلوات . واهل تقوى . ولديهم تفاسير كثيرة ، ومؤلفات دين وفقه . يعتقدون بنبوة محمد (ص) ، وامامة الشيخين ، وذي النورين ، وخال المؤمنين معاوية . ويطعنون بعلي [رض] ، ويقولون انه ادعى الالوهية كاتباعه من الغلاة ، وانه كان يدعوهم الى ذلك وينسبون اليه هذه الخطبة :

«انا الله ، وانا الرحمن ، وانا الرحيم ، وانا العلي ، وانا الخالق ، وانا الرزاق ، وانا الحنان ، وانا المنان ، وانا مصور النطفة في الارحام» . وامثال ذلك . وهذا يشبه قول فرعون ونمرود واضرابهما . ونظائر هذه الخطبة في كلامه كثير . وكان قاسي القلب ، سفاكا . سلك مع الرسول (ص) سلوكا مخالفاً للآداب . وذلك انه كان يأكل تمراً ، فرمى الرسول (ص) النوى ووضعه امامه فقال له الرسول (ص) : يا علي أكلت تمراً كثيراً . لان النوى متجمع امامك ، فاجابه علي (رض) : انك أكلت التمر مع النوى . ويزعمون انه نزلت في حقه هذه الآية : « ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام » . ويحبذون عمل ابن ملجم . ويقولون ان هذه الآية نزلت فيه : « من الناس من يشتري نفسه ابتغاء مرضاة الله » . ويقولون ان الحسنين ليسا من نسلي رسول الله (ص) بحجة قوله تعالى : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين » . ويقولون ان يزيد لم يقتل الحسين (ض) في بيته ، وانما عزم على الرحيل الى العراق بقصد تسخير الملك فقتل . ويظهرون في العاشر من المحرم في ميدان وسيع خارج البلد ، وهم فرسان ويصنعون صوراً من القتلى ، والموتى كلها من الطين ، فيسيرون عليها ويسحقونها بارجلهم ، انتهاكا لاجساد شهداء كربلا . وعندهم هذا اليوم من الايام المباركة ، ويبدون فيه من الفرح والسرور ما يزيد على افراح العيدين . لان امام الوقت يزيد ، ظفر بعدوه فقتله . وفي يوم الجمعة وايام الاعياد يطعنون بعلي

١) هذه الصفة مستفادة من ان ام حبيبة زوج الرسول (ص) اخت معاوية .

واولاده على المنابر .

وهؤلاء اكثرهم اكراد . وفيهم جماعة تقف مصلتة السيوف وتلعن علناً علياً واولاده . يقال لهم (السيافة) . ويعتقدون في الانبياء والاولياء التصرف فانهم يقولون انهم قادرون على الاحياء ، والاماتة ، ولا ان يجاد ، والافناء ، وعلى ماشاؤوا فعله . ولا يليق باتباعهم ان يقتلوا حيواناً او يذبحوه ، لانهم غير قادرين على احيائه . ويعتقدون ان الانبياء كانوا يتزوجون باي امرأة ذات زوج متى شاؤوا لان الدنيا خلقت لاجلهم ، ولكن لا يجوز لاحد اتباعهم ان يتزوج بامرأة احد. لان الدنيا خلقت لاجلهم . وعندهم لزوم الاهتمام بأمر الجهاد ، وغزو من يخالف الدين ، ويعاديه حفظاً لبيضته . وهؤلاء لا يذبحون في شكونه (جبلهم) حيواناً ويكتفون بأكل العسل ، والسمن ، ولا يشربون المسكرات بتاتاً ، حتى الافيون والجوز (١) . ولما سئل احدهم عن المسكرات وانها لو كانت حراماً لما شربها الانبياء السالفون وبعض خلفاء الامويين ، قال : كان لهؤلاء الانبياء والخلفاء عقل كامل ، بحيث ان المسكر ما كان يؤثر في عقولهم ولكننا لسنا مثلهم او بدرجتهم .

وكذا سألهم عن القدرة التي ينسبونها الى الانبياء والخلفاء الذين يتمكنون من ايجاد معدوم او افناء موجود ولماذا لم يجعلوا ألسنة الرافضين خرساً ؟ فاجابه: ان بعض الامراء قدم الى امير المؤمنين عمر (ض) زجاجة فيها سم زعاف ليقتني بها عدوه . فقال له الخليفة : ان اكبر اعدائي نفسي الامارة ، فتجرعها ولم يصب جسده المقدس ضرر .

فالحكيم الذي يتمكن من تجرع السم ، بحيث لا يصيبه ضرر ما منه ، كيف يتأذى من سماع طعن الاذلاء بحقه؟ وقس على ذلك سائر الصحابة . هذا تعريباً ماجاء في « دبستان مذاهب » .

وقال شهاب الدين احمد بن حجر الهيتمي المتوفى سنة ٩٣٢ هـ في كتابه

---

١) كذا ولعل الاصل: و« البوز » وهو نوع من المسكر يتخذ من العسل. ولما كان العسل كثيراً في ديارهم ، يحتمل ان بعضهم كانوا يتخذون البوز منه فيسكرون به . فمنعه كبار دينهم . (ل . ع)

المطبوع بهامش الصواعق سنة ١٣٢٤ المسمى (تطهير الجنان واللسان عن الخوض والتفوه بثلب سيدنا معاوية بن ابي سفيان) ما نصه :

« لان طائفة يسمون اليزيدية يبالغون في مدح يزيد ، ويحتجون وممسكا عنان القلم ان يسترسل في سعة هذا الميدان . لان من منح هداية . يكفيه ادنى برهان ... » (راجع ص٥) .

واخالني غير مبالغ اذا قلت ان المتتبعين وقفوا عند حد لم يتجاوزوه . ولذا لم يدققوا النظر في طريقة الشيخ عدي ولم يقفوا على روحها . وغاية مارأينا انهم خلطوا بعض النتف التاريخية باوهام ومشاهدات فظنوا انهم استكملوا العدة ، في تحليل العقيدة والوقائع . وعلى كل حال ان الذي عندنا انه لم يدون التاريخ سوى العلاقات السياسية ، ولم يتعرض لديانة الجماعات وطرائقها إلا قليلا واستطراداً ، او بصورة الغرض والتضليل والحال لدينا ما يفسر هذه الحقيقة وينطق بما يكشف عن اسرارها . ولكن يلاحظ هنا ان تاريخ العقائد في تحولاته بطيء السير لان التبدل الروحي في الاقوام ، قليل ، وتطور العقيدة لا يسجل يومياً بل في عصور متطاولة ، وازمان متفاوتة جداً ، قد لانرى الصلة بينها لبعد العهد . والكامل الوقوف على هذا التاريخ باستنطاق الكثيرين من المؤرخين وعلماء الكلام لتبدو صفحات مختلفة يتحقق من مجموعها « العقيدة ».

والحاصل ان عقيدة هؤلاء القوم واضحة وبارزة للعيان بالرغم مما نراه من تكتم أهلها ، والابهام الذي أبدوه مؤخراً ، وغالبه ناشيء من الجهل والنسيان بسبب الوقائع المؤلمة . إلا ان نسيان الاساسات لم يكن عاماً في جميعهم فهم غير متساوين في قبول الخرافات بدليل النص المنقول اعلاه عن « دبستان مذاهب ». وايا كان الامر ، فالعقيدة واضحة في الماضي ، وفي الحاضر ، ولكن « من شدة الظهور الخفاء » . فلا غموض في التطور وهو متجل امام عيوننا . ومع هذا نسعى وراء المجهول ، فكاننا نحاول فتح مغلق الغاز ، او مبهم طلسمات! وترجمة الشيخ عدي توضح نوعاما قلته . فدونكها :

ترجمة الشيخ عدي :

هو شيخ « الطريقة العدوية » . اشتهر في عصره ايام حياته بالتفوق

وتابعه كثيرون وشهد في حقه رجال الطرائق الاخرى المعروفون بالفضل والمكانة الى اليوم . وهو ابن مسافر الشيخ الصالح . المشهور في زمنه ، ابن اسماعيل بن موسى بن مروان [الى هنا اتفق المؤرخون على نسبه بهذه الصورة] بن الحسن [وفي بهجة الاسرار ابن الحكم لا الحسن] ابن مروان [قال ابن خلكان : كذا املى نسبه بعض ذوي قرابته . ووافقه عليه صاحب القلائد في سرد النسب بهذه الصورة ، وزاد العليمي انه] بن ابراهيم ابن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن العاص بن عثمان بن عفان بن ربيعة بن عبد شمس بن زهرة بن عبد مناف [وقد تابع صاحب الشرفنامة هذا النقل او كاد] .

ولد في « بيت فار » من اعمال بعلبك . وعلى رواية بعضهم ، ان بيت فار من البقاع . قاله ابن كثير في القلائد وهي بقاع العزيز بين بعلبك والشام ، ولا تفاوت بين القولين اذا كانت بقاع العزيز من اعمال بعلبك . قال ابن خلكان والبيت الذي ولد فيه يزار للآن .

عاش ٩٠ عاماً ، او نحو ذلك ، وتوفي سنة ٥٥٧ هـ على الرواية التي رجحها ابن خلكان ، وقيل عام ٥٥٥ هـ ، ويطعن بصحة هذه الرواية ما جاء في البهجة من ان الشيخ ابا محمد يوسف العاقولي قال : « قصدت زيارة الشيخ عدي في اوائل سنة ٥٥٦ » وانه تحادث مع الشيخ عدي ، وهذه الرواية مما يطعن بصحة الرواية الاخرى . ويروي صاحب البهجة انه توفي في اوائل المحرم سنة ٥٥٨ هـ والتفاوت قليل بين رواية ابن خلكان وهذه الرواية تفسر بوصول الخبر . وقد ايد صاحب الكواكب الدرية ان وفاته كانت سنة ٥٥٨ هـ .

والكل متفقون على انه اموي من صميم الامويين . وبذلك يفسر حب اتباعه ومن خلفه ليزيد والتعصب له ، وينفي قول القائلين بانهم يزدانيون . ومن يراجع الشرفنامة ير ان الكثيرين من امراء الكرد أمويون ويتحقق ان الامويين لجأوا الى الجبال بعد ضياع حكمهم ، فتولوا رياسة القبائل الكثيرة من الكرد .

نعته :

وقد نعته مظفر الدين صاحب اربل — كما نقل عن ابن المستوفي بأنه شيخ ربعة — اسمر اللون ... [ابن خلكان] ج ١ ص ٣١٦ .

حادثة حمله وفصاله :

ان اباه رجل صالح كما تقدم . ويحكى انه دخل غابة ومكث فيها يتعبد منقطعاً عن الناس نحو ٤٠ عاماً (راجع قلائد الجواهر ص ٨٨) وروى صاحب جامع كرامات الاولياء ، انه سكن الغابة نحو ٣٠ سنة ثم انه رأى رؤيا مؤداها ان قائلا يقول له : « اخرج من هذه الغابة ، واذهب الى زوجك ، واتصل بها يأتك الله تعالى ولياً يذيع ذكره ، وينتشر فضله في الخافقين » .

ولما اتى زوجته ، قالت : لا افعل حتى تصعد هذه المنارة ، وتنادي بأهل هـذا البلد انك قدمت ، فنادى : « يا اهل هذا البلد أنا مسافر قدمت ، وقد أمرت ، ان اعلو فرسي فمن علا فرسها أناه ولي » .

فولد لاجله ٣١٣ ولياً . وذكر لحمله خوارق كتسليم الاولياء عليه وهو في بطن امه وجوابه بعد ولادته وايام طفولته (راجع قلائد الجواهر ص ٨٨) فلا نطيل القول فيها .

والرجل العظيم يفسر صغره وولادته وحمله بامور خارقة ، خصوصاً من كان شيخ طريقة ، او عظيماً دينياً ، مما لا يعلق عليه اهمية كبيرة بدرجة سلوكه ونهجه وذلك لا يزيد في عظمته ، ولا مما يصح وزنه بميزان العقل اكثر من انه رجل كبير ، ظهرت مواهبه في انقطاعه ، وخلوته ، فنالت طريقته مكانة ورسوخاً في الاذهان . اللهم إلّا في نظر من لا يعلق قيمة إلّا للخوارق او لا يكاد يؤمن إلّا بها .

كيف جاهد :

إن الرجل العظيم قد لا يرى في محيطه من يبرد غلة تعطشه ، او انه لم يتحقق من صحة مبدأه . أو يشتبه من نهجه الذى ينوي القيام به ، او انه يتجول للاخذ عن اكابر من ينوي السلوك بموجبهم و الاخذ منهم لينكشف له طريقه

ويتيقن من الصحة . وهذا بمقام اختبار آراء اكابر الرجال . وفي ذلك الاوان كانت بغداد كعبة القصاد لكل صنف من اصحاب البضائع العلمية والادبية ... وفيها البغية لكل متطلب . فمن لم يأخذ عن اكابر رجالها لا يعد شيئاً ، او ان هؤلاء وامثالهم من المشاهير قدوة الناس . ومحل اعتمادهم ، ومحط ثقتهم ، ويجب ان يحصل على رضاهم والاجازة بالاخذ عنهم .

لذلك كله او بعضه تجول مترجمنا الاخذ ، فحط ركابه في بغداد واخذ عن اعاظم فضلائها ، ونال شهرة فائقة في مجاهداته . وحسن اخذه ، فلم يبق له بعد الدرس إلا الانقطاع ، والتفرغ ، لما اهب نفسه للقيام به ، ولكنه لم يعد الى موطنه الاصلي ، واراد العزلة عن الناس والتباعد عن الضوضاء في محل هادئ ، فاختار الانقطاع الى جبال هكار كأسلافه من بعض صلحاء الامويين ممن تقدم ذكرهم وآوى في اول امره الى المغارات والجبال والصحاري مجرداً سائحاً يأخذ نفسه بانواع المجاهدات مدداً مديدة . وقد نال في المجاهدة طوراً صعب المرتقى عزيز المنال تعذر على كثير من المشايخ سلوكه .

ومن ثم حصلت له المتابعة والانقياد التام لنهج زهده وسلوكه ، فصارت تلك المواطن مأهولة به ، وعم فيها الصلاح بسبب ارشاده ، فقصده الناس بالزيارة من كل قطر . واجمع المشايخ وغيرهم في عصره على تبجيله والاعتراف بمكانته . فهو احد من تصدر لتربية المريدين الصادقين ببلاد الشرق ، وانتهى اليه تسليكهم ، وكشف لهم مشكلات احوالهم وتتلمذ له خلق من الاولياء وتخرج بصحبته غير واحد من ذوي الاحوال الفاخرة .

(راجع قلائد الجواهر ص ٨٨ و ٨٥ وبهجة الاسرار ص ١٥٠) .

العصر الذي وجد فيه :

ان هذا العصر طافح باعاظم الرجال المشهورين بالصلاح والتقوى ، مثل الشيخ عبد القادر الجيلي ، والشيخ احمد الرفاعي ، والشيخ علي الهيتي ، وعلي ابن وهب السنجاري وقضيب البان ، وشعيب أبي مدين وغيرهم . جمع النوابغ في الزهد بحيث لم يظهر في غيره من العصور التالية مثل هذه العصبة ثقافة وتقوى . ويصلح ان يقال ان هؤلاء خلاصة من سبقهم ، وجماع مسالك القوم ، ونتاج اصول

تربيتهم ، ومن راجع كتاب سير السلف ، والكواكب الدرية وسائر كتب الطبقات في التصوف وراعى تطور العصور الاسلامية ، ينكشف له بوضوح طريق القوم ، ويعلم يقيناً ان هؤلاء هم « الصفوة » .

وكل ما وصل الينا من هؤلاء انهم ارادوا تهذيب نفوسهم ، وتجريدها من العوارض الدنيوية ، مما يستدعي انشغال البال ، والتفكر في احوال المعاش . وبذلك تمكنوا من توجيه الناس الى الطريقة التي حصلوا عليها ، وصرفوا الناس عن امور كانت شغلهم الشاغل وهمهم الوحيد مثل المقارعات الكلامية ، والمجادلات الدينية الى نحوها ، وحضوهم على العمل بعد ان تيقنوا ان الجدل قد يفسد المنطق ، ويسوق الناس الى المماحكات ، وان اتقنوا ترتيب اشكال القياس وليس هذا موطن تفصيل هذه الامور .

وهذا العصر انجب مثل مترجمنا الشيخ عدي . تجول وسار في الاقطار ، حتى بلغ المكانة المرضية بمجاهداته ، لتحقيق منطوق الآية « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » . فشاع امر المترجم في الآفاق وقصد بالزيارة في حياته ، وهو الذي غطت شهرته سائر الزهاد في الانحاء التي اختار العزلة فيها ، مثل علي بن وهب السنجاري ، ومن تقدم الكلام عليهم ومثل جاكير الكردي . فلم يزاحمه مزاحم ويكفيه فخراً ومكانة شهادة الشيخ عبد القادر الجيلي في حقه اذ قال : « لو كانت النبوة تنال بالمجاهدة ، لنالها عدي بن مسافر » . ولذا اضربنا عن ذكر شهادات الآخرين بعده .

عقيدته :

لم يبتدع عقيدة جديدة . وانما هي عقيدة اهل السنة . وقد اوضحها في رسالة له . ونقل عنها ابن تيمية في رسالته المارة قبلا . وقد عثر عليها الدكتور رودلف فرانك في مكتبة الترك في برلين ، وفيها يقول ما مؤداه : انه ليس في العالم حادث خارج الارادة الالهية ، وان العمل جزء من الايمان ، وانه يقبل « الزيادة والنقصان » . واورد في تلك الرسالة حديث افتراق الامة ، وان اهل السنة ، هم الفرقة الناجية ، ويندد بالشيعة . ويلتزم جانب معاوية بن ابي سفيان ويناضل عنه . وهو على اهل البدع ممن يخالف اهل السنة . ويعتبر نفسه من

اهل الحديث ، ويحمل على المعتزلة ويضللهم ، ويذكر احوال الآخرة من جنة وجهنم (١) والنضال عن سب معاوية قد قام به جماعة من اهل السنة وكتب ابن حجر رسالته المذكورة . وفيها ايضاحات وافيـة لمتطلب التوسع في هذه المباحث . وكذا في الصواعق بعض المباحث ، ولا يهمنا التوسع في موضوعها ، إذ الغرض هنا بيان العلاقة لا غير . وله في باب توحيد البارئ عزوجل قول مأثور :

« لا تجري ماهية في مقال ، ولا تخطر كيفيته ببال ، جل عن الامثال والاشكال، صفاته قديمة كذاته ، ليس بجسم في صفاته ، جل ان يشبه بمبتدعاته وان يضاف الى مخترعاته . ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير . لا سمي له في ارضه وسماواته ، ولا عديل له في حكمه وارادته ، حرام على العقول ان تمثل الله تعالى . وعلى الاوهام ان تحده ، وعلى الظنون ان تقطع ، وعلى الضمائر ان تعمق ، وعلى النفوس ان تفكر ، وعلى الفكر ان تحيط ، وعلى العقول ان تتصور ، إلّا ما وصف به ذاته في كتابه العزيز ، أو على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم . » (بهجة الاسرار ص ١٥١) وقال في باب القضاء والقدر :

« لا يخلو اخذك وتركك ان يكون بالله ، أو له . فان كان به ، فهو يباديك بالعطاء . وان كان له ، فاسترزقه بأمره . واحذر ما فيه الخلق، فمتى كنت معهم استعبدوك ، ومتى كنت مع الله عزوجل حفظك ، ومتى كنت مع الاسباب فاطلب رزقك من الارض ، واذا كنت مع التوكل ، فان طلبت بهمتك لن يعطيك وان ازلت همتك اعطاك ، واذا كنت واقفاً مع الله عزوجل ، صارت الاكوان خالية لك من المواطن ، وانت في القبضة فان ، والكون كله فيك ولك . » الى عنها ص ١٥٠ .

آداب سلوكه :

ان المترجم تولى ارشاد الكرد الجبليين، فجاء الى هكار ، فانتصب للارشاد في زاويته في لالش (ليلش) حتى تمكن من ادخالهم في طريقته والظاهر ان طريقته هذه لم تؤثر في

١) عن محمد شرف الدين بك الكاتب التركي الفاضل من المعاصرين .

من ذكرهم صاحب « دبستان المذاهب » او لم يقفوا عليها . وله مؤلفات في السلوك غير الرسالة المذكورة وهي :

١ ــ رسالة في آداب النفس . ــ ٢ ــ اخرى في وصاياه للخليفة . ٣ ــ وصاياه لمريده «قائد» .

وفي الاولى منها يقول : ان الدعوى تطفىء سراج المعرفة ، ويحث على مراعاة عشر خصال ، منها : تلاوة القرآن الكريم للصلحاء ، ولزوم ترك المعاصي ... ، ويرغب في المجاهدات .

وفي الثانية : يوصي بالتباعد عمن تظهر منه الكرامات ، اذا لم يوفق بين اعماله وسلوكه وبين اوامر الشرع ويزدجر عن نواهيه ، ولا يسوغ التساهل من احد ولو صدرت منه بدعة طفيفة .

وفي الثالثة: يخاطب «قائداً» وهو احد مريديه قائلا : « يا «قائد» أوصيك بمراعاة الاحكام الشرعية ، فلا تتجاوزها ، والتزم الشرع ، وراع التقوى ، وجانب من يركض وراء الدنيا ». وقال :« الجوع مفتاح الزهد ، وحياة القلب كما ان عيسى قال لحواريه : سترون الله تعالى اذا اجعتم بطونكم ، واظمأتم كبودكم ، وخلعتم اللباس» (١) .

قال محمد شرف الدين بك : ان تصوفه قريب جداً من نهج الغزالي فيه ، وهذه الرسائل موجودة في مكتبة الترك في برلين نقلا عن الدكتور الموما اليه وذكر ان في المتحفة البريطانية قصيدتين في مجموعة ، مطلع احداهما :

تفردت في حب الذي كنت اهواه ... واصبح عندي اشتياق للقياه
واصبحت نشوانا بكأس شربته ... ولم يعلم الناس من اين محياه
وكان نديمي اشرف الرسل احمد ... مليح التثني تخجل الصب عيناه

وهنا يستدرك على الفاضل محمد شرف الدين بك انه بعد ان ذكر ذلك ، قال : «ان اليزيديين قد ضلوا في زمن ابنه حسن ، اي ابن الشيخ عدي» . وبهذا يكون قد قصد عدياً ابن ابي البركات لا المترجم . ولما لم يفرق بينهما ينبغي التحرز

(١) ل . ع . لا نعرف كتاباً دينياً نصرانياً ورد فيه هذا القول المنسوب الى المسيح.

من حقيقة نسبة الابيات المذكورة اليه . والظاهر انها لابن ابن اخيه عدي الثاني.

ومن اقواله في آداب السلوك : ١ــ الشيخ من جمعك في حضوره ، وحفظك في مغيبه ، وهذبك باخلاقه ، وادبك بإطراقه ، وانار باطنك باشراقه .

٢ ــ المريد من انار نوره مع الفقراء بالانس والانبساط ، ومع الصوفية بالادب والانحطاط ، وحسن الخلق والتواضع في كل شيء ، ومع العلماء (رض) بحسن الاستماع ، ومع اهل المعرفة بالسكون ، ومع اهل المقامات بالتوحيد .

٣ــ ياهذا ! البدلاء (١) ما صاروا بدلاء ، بالاكل والشرب والنوم والطعن والضرب ، وانما بلغوا ذلك بالمجاهدات والرياضات . لان من يموت لا يعيش ومن كان لله تلفه كان على الله تعالى خلفه . ومن تقرب لله تعالى باتلاف نفسه اخلف الله عليه نفسه . (راجع قلائد الجواهر ص ٨٤ ــ ٨٥) .

٤ ــ من لم يأخذ ادبه من المتأدبين افسد كل من تبعه .

٥ ــ من اكتفى بالكلام من غير عمل انقطع عن الله ، ومن اكتفى بالتعبد من غير فقه ، خرج من الدين (كان شافعي المذهب وكذلك جميع الكرد الشماليين ــ معجم البلدان وغيره) ، ومن اكتفى بالفقه من دون ورع اغتر بالله ، ومن قام بما عليه من الاحكام نجا .

٦ ــ اول ما على سالك طريقنا ترك الدعاوي الكاذبة ، واخفاء المعاني الصادقة (وهذا يوافق ما جاء في رسالته الاولى من رسائل آداب السلوك وحينئذ نقطع بانها له).

٧ ــ اذا رأيتم الرجل تظهر له الكرامات الخوارق ، فلا تعبأوا به ، حتى تنظروه عند الامر والنهي . فان جماً من الكفار اظهروا خوارق وعجائب وهم كفار (وهذا القول ايضاً يؤيد صحة الرسالة الثانية من آداب سلوكه.) (راجع الكواكب الدرية) .

٨ ــ من كان فيه ادنى بدعة ، فاحذر مجالسته ، لئلا يعود عليك شؤمها ولو بعد حين . (بهجة الاسرار ص ١٥٠) .

---

١) راجع في الابدال ما كتبناه في المشرق ١٢ : ١٩٤ الى ٢٠٤ (ل . ع)

طريقته الصوفية ـ مقاطعة اللعن :

ان آداب سلوكه واقواله هي مجموع طريقته ، ولكن اوضح شيء في طريقته هذه « مقاطعة اللعن » وهي بسيطة جداً ، ويسهل تناولها على كل احد . وتلخص في انه حذر من اللعن ، « حتى لعن الشيطان » خوفاً من الاتصال بشائبة السب .

ومن هذا تولد لزوم الاشتغال بالعبادة والصلاح ، ومراعاة احوال الزهد والتقوى . واساسها الاشتغال بأمر اصلاح النفس . فلا كره هنا بل حب لله ، ولرسوله ، وللمؤمنين ، واتباع اوامر الشرع ، واجتناب زواجره ؛ ومراعاة الاخلاق الفاضلة . بالوجه المار في السلوك والعقيدة ويترتب على هذه :

أ ـ زوال الكره ، ومراعاة الاخاء .

ب ـ تأمين الوحدة بان لا يشذ احد عن المبدأ العام .

ج ـ اتباع العقيدة .

د ـ تنقية اللسان من البذاءة

ه ـ رفع الحزبية الشخصية .

فلا ينكر الزهد احد ولا تثريب على من يراعي الاحكام الشرعية وان يقوم المرء بما استطاع من عبادة : « واتقوا الله ما استطعتم » .

واما مقاطعة اللعن فانها سلوك بسيط بالنظر الى العوام ولا تحتاج الى دراسة ولا الى حفظ فهو ترك ، لا عمل ، او انه من المنهيات كما انها معالجة قضية اجتماعية هامة . فهي بسيطة وسلبية اكثر منها ايجابية .

ان هذا الشيخ اختط هذه الخطة بعد ان عالجها مدة طويلة ، واعتقد انها الناجحة .

وقد اشتهرت طريقته « سلوكها وآدابها » في سورية ، ومصر ، وذاع صيتها وقد اوضح المرحوم احمد باشا تيمور التكية العدوية في مصر في كتابه اليزيدية وقد لعبت الايدي مؤخراً في هذه الطريقة ، وتطورت كثيراً وسيأتي الكلام على اخلافه وعلى هذا التحول والغلو فيه .

المحامي عباس العزاوي

في ضرورة معرفة طب البيت

Nécessité de Connaitre la mèdecine domestique.

قال رامبايل : « يدخل يوماً في انظار حسن التربية . ان تطلع الشابات ، اية كانت مراتبهن ، اطلاعاً وافياً على الفنين : طبخ الاطعمة ، وتهيئة الادوية ؛ ولا بد من أن يندمج هذان الفنان ، آجلا ام عاجلا ، فيصبحا واحداً . وعلى الشابات ان يعرفن مبادىء حفظ الصحة ، او اعادتها الى حالتها الاولى . لان الطب سائر الى البساطة ، والى ان يكون قريب المنال على الجميع ، وحينئذ لاتظل الادوية عديدة ، ولا مركبة ، بل لايبقى ثم سر غامض لاتخاذها ». واليك الآن في هذا الموضوع عينه ، رأي سيدة كتبت كثيراً عن التهذيب .

قالت السيدة دي جنلس : « من المستحسن ان تتعلم الشابات ما يتعلق بالعقاقير واعدادها ، لا الطب ولا تطبيقها ، وعليهن ايضاً معرفة اتخاذها ، واختيار الترياقات ، والادوية التي تسبق وقوع النتائج المشؤومة ، المتولدة من الزرنيخ والزنجارة ، والرصاص وغيرها . والادوية التي تؤخذ بمقدار فاحش ، وليس دون ذلك اهمية تعليمهن وضع الآلة الاولى على جرح أو رض . وهذان تضميدان مختلفان سهلا الممارسة ؛ إلا انهما يتطلبان مهارة وتعوداً ».

«فما اكثر المنافع الجليلة ، التي تنتج من هذه الدروس المفيدة العائدة الحسنة وهكذا تدرب الشابات على ان يتغلبن على كل اشمئزاز ، وكل تقزز تفيض به البشرية . فاذا عودن انامل هن البارة الطاهرة ، القيام بمثل هذه الوظائف المقدسة ، ينتهي بهن الامر الى معرفة خطورة هذا الواجب الطيب ، والمنزه معاً . تلك المعرفة المهمة كل الاهمية ، وهذا الواجب هو البحث عن الوسائل التي تجعلهن مفيدات للغير ، منتهزات تلك الاسباب ، فيتمكن يوماً من تقدمة الاسعافات الفعالة كل الفعل والضرورية كل الضرورة في جميع تلك الوقائع الكثيرة الحدوث لسوء الحظ ! فما اكثر الناس ، لاسيما الاولاد ، الذين هلكوا في السفر ، او في الريف ، لنقصان تلك المساعدات . والمرأة التي تستطيع ان تقوم بمثل هذه الشؤون ، تنجي يوماً ولدها من الموت! . »

وعلى رأي الدكتور سافري: « يشمل تهذيب النساء . المساعي التي تبذل للمرضى والمساعدات المستعجلة عند وقوع الحوادث، ومعرفة صحيحة لمبادئ طب البيت» .

بتعريب ميلي رزق الله رسام
في مدرسة الراهبات المركزية في بغداد

(لغة العرب) وجدنا رئيسة مدرسة الراهبات المركزية في بغداد — وهي الام توما دروزير — تعنى كل العناية بتعليم العربية للبنات اللواتي سلمن الى عنايتها ، وقد عرضنا على بعضهن نقل نبذة من الفرنسية الى العربية، فاجادت نقلها الآنسة مركريت بشارة والآنسة ميلي رزق الله رسام . وقد ادرجنا هنا ترجمة الآنسة ميلي وفي فرصة اخرى ننشر ما تكتبه الآنسة مركريت رفيقتها . فنهنىء الام الرئيسة توما بالفوز الذي نالته او تناله تلميذاتها . وعسى ان هذا النجاح يطرد رقياً .

ارشاد Ligne de Conduite.

حياة الفرد لا تحظى بعز ... إذا لم يضح مقداماً مخيفا
فلا يأمل من الدنيا علواً ... اذا لم يبق مفضالا شريفا
إلّا ان الفضائل خير مجد ... وان الفيتها نصباً طفيفا
وما هذي الحياة سوى سباق ... فكن في الجري مسراعاً خفيفا
وسجل في حياتك كل فخر ... وكن للناس معواناً رؤوفا
وسوف ترى المصائب هاجمات ... فعارضها تكن بطلا حصيفا
فانك من بني الاحرار فرد ... فكن من كأس عزتهم رشيفا
وان الناس قد سبقوك شوطاً ... طويلا فاركض الركض العنيفا
تمر بك السنون وانت راض ... بعيش لم يزل يبدو كسيفا
أريت الناس ما حفظوا ضعيفاً ... بل اغتالوا الذي أمسى ضعيفا
فلا تخضع لانذال طغاة ... وحكم عند ظلمهم السيوفا
لعمري اليوم إنك في زمان ... به الآلات تجتاح الصفوفا
وبأس المرء يحفظه بقسر ... ولا يجدي الضعاف ولو الوفا

مصطفى جواد